وقعة الطف
وتاثيرها على الادب العربي

لعل من المواضيع التي لم يتطرقها كاتب عن واقعة الطف هو هذا الموضوع الذي يتجلى لكل باحث وأديب خطره وأهميته ، واذا مادرس الباحث وقعة الطف درساً تحليلياً يجدها قد أثرت على الادب فوسعت مواضيعه وجددت له مواضيع اخر . وعليه فقد اتجه ما اعتقده كل باحث من ان وقعة الطف أحد العوامل القوية التي بعثت بالادب العربي الى سعته وتطوراته التي سيطلع عليها القارئ .

ولسنا في صدد البحث عن معرفة العوامل التي رفعت مستوى الادب العربي الذي منها امتزاج الادب الفارسي بالعربي وبذلك ظهر الاثر في [الادب العباسي] حيث امتزج فيه العنصران فنجم من ذلك اتساع دائرة الخيال في الادب العربي وظهرت الفروق بينه وبين الادب الاموي جلية واضحة .

ولقد علم بأن ادب الرثاء عند العرب قبل الاسلام وبعده بقليل كان محدوداً وله قالب خاص لايحيد عنه الشاعر لضيق دائرة الميت والصفات التي فيه مهما بلغ الفقيد من العظمة حتى صار اكثر الادباء يعتقدون من جراء ذلك بان فن الرثاء هو أضيق دائرة من غيره من سائر فنون الشعر كالغزل والنسيب والمدح والفخر والحماسة والوصف الى غير ذلك . ولعل البيت الذي تغنت به الركبان من كونه أحسن بيت قيل في الرثاء يعطينا صورة صادقة تؤيد ما اعتقده الادباء في ذلك وهو قول ليلى بنت طريف ترثي أخاها :

أيا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تحزن على ابن طريف

ومع ما في هذا البيت من سمو فانه يتضاءل ازاء فن الرثاء بعد وقعة الطف ، ولعل ذلك لخفي بعد إطلاعي على ادب الرثاء عند الفراتيين وما ابتكروه من معان وما حصلوا عليه من متانة ممزوجة برقة وانسجام .

واذا اردنا أن نستعرض أدب الرثاء في القرون الاسلامية الاربعة عشر لاشك يحتاج الى زمن مشفوع بدراسة دقيقة ونظراً لاني صرفت زمناً في دراسة ادب الرثاء بشكل تدويني ولم اتتبعه من الناحية التحليلية الاستطرداً وذلك في كتابي (شعراء الحسين) الذي تضمن ترجمة ثمانمائة شاعر مع اثبات عيون ما قالوه في رثاء الحسين ، وحتى الآن انا جاد بكل قواي لاستيفاء هذا الموضوع الخطير الذي ارجو ان اوفق للاحاطة والاشباع به . لذا تراني في بحثي هذا لم أخض الا بشكل استطرادي ، وكم كنت اود ان يتقدمني ادب شهير فيخوض هذا الموضوع بالشكل اروعه لعلي اسير على ضوئه فلم أجد من من كتب حتى أدى حرصي الى ان اقترح على العلامة الكاتب الشهير عبد الله العلائلي في مقابلي الذي نشرته في السنة الاولى من مجلة (الغري) تحت عنوان [مقتل الحسين وعناية المؤلفين به] ان يكتب مقالا تحت عنوان [مقتل الحسين وتأثيره على الادب العربي] في إحدى حلقاته التي اعدها حينذاك لتاريخ الحسين نظراً للثقة التي كسبها هذا الكاتب المبدع بين ادباء العرب وما اختص به من متانة الاسلوب ولا ادري هل قرأ هذا الاقتراح أو انه لم يقف عليه او كتب ولم يصلنا منه شيء ، ذلك ما تمنيت ان يكون لاسير انا على ضوئه اولا وبعد ذلك من شاء فليكتب حيث ان هذا الموضوع يستوجب نهضة قلمية واسعة تقوم باشباعه والكشف عن اسراره ، ولا أشك باني قد اخذت على عاتقي هذا العبء مع قصر الباع المشفوع بقصر الزمن .

ولعل القارئ يشعر معي ان اشباع هذا الموضوع يحتاج الى سفر كبير وبالاخير يوشك ان يستوفيه من يحاول الكتابة عنه ، وصحائف معدودة لاتكفل تأدية المقصود والوصول الى البغية التي أحاولها ، فاذاً وجب علي أن أقوم بتأدية ما استطيعه مستمداً ذلك من استحضار الوقت .

ليست واقعة الطف من الوقائع التي خفيت على الناس لأقوم بتعريفها فقد مرّ عليها اكثر من ثلاثة عشر قرنا وهي كما قال الشاعر الخالد السيد جعفر الحلي : ـ

في كل عام لنا بالعشر واعية
تطبق الدور والارجاء والسككا

ياميتاً ترك الالباب حائرة وبالعراء ثلاثاً جسمه تركا

او كما قال الشيخ عبد الحسين الاعسم : ـ

أنست رزيتكم رزايا التي سلفت وهونت الرزايا الآتية
وفجائع الايام تبقى مدة وتزول وهي الى القيامة باقية

بحقاً ماقاله هذا الشاعر فهي باقية خالدة وستبقى حتى يتلاشى الوجود بين طيات العدم ولفداحتها التاريخية وعدم مشابهة واقعة لها أوجب أن تصرخ الانسانية لها صرخة لاتهدأ حتى تتعدم الانسانية من صفحة الوجود ، وقامت زمر بالنياحة على ذلك الشهيد الذي خط بدمه الطاهر على صحيفة العدل الخالدة دروس الدين التي حاول الامويون محوها من تلك الصحيفة الالهية فخسئوا وكان عاقبة امرهم الخزي والعار المؤبدين .

ولأثر هذه الفاجعة في القلب فقد تعاقبت الزمر تلو الزمر يندبون ذلك البطل بشتى الاساليب وبمختلف اللغات وناحته شعراء القرون الاسلامية أجمع وفي طليعتهم شعراء القرون الاولى منهم : سليمان بن قتة العدوي ، والحسين بن الضحاك ، وجعفر بن عفان حينما دخل على امامنا جعفر الصادق (ع) ومثله دعبل الخزاعي ، وعبد الله بن الحر الجعفي ، والفضل ابن عباس بن عتبة بن ابي لهب ، وعقبة بن عمرو العبسي وهو اول من رثى الحسين حسبما ذكر سبط ابن الجوزي في كتاب [التذكرة] قائلا :

مررت على قبر الحسين بكربلا
ففاض عليه من دموعي غزيرها

وما زلت أبكيه وأرثي لشجوه
ويسعد عيني مدمعي وزفيرها

وناديت من حول الحسين عصائباً
أطافت به من جانبيه قبورها

ومنهم ذو الحسبين الشريف الرضي ذلك الذي افهمنا عنه التاريخ انه زار الحسين واخذ يطوف حول قبره الشريف وهو يرتجل مقصورته الشهيرة التي أعربت عن حقيقة الرثاء قائلا في مطلعها :

كربلا لازلت كربا وبلا ما لقي عندك آل المصطفى

فما أتمها إلا وقد اغمي عليه زمناً طويلا ، وتلميذه مهيار الديلمي ذلك الذي ادخل فناً على الرثاء لم يجئ بمثله من سبقه ، وتراه يصف ضريح الحسين باسلوب نم عن بلاغة وسمو في الادب بقوله :

كأن ضريحك نشر الربيع مر عليه نسيم الخريف

ومنهم ابن الهبارية الحسين الشاعر الشهير الذي ابدع في الرثاء غاية الابداع ، ومثله من اسمه طابق مسماه بديع الزمان الهمداني .

واذا ماحاولنا أن نذكر لك شعراء القرون الوسطى فنحتاج الى ان نقدم لك سفراً ضخماً في أسمائهم كابن ابي الحديد المعتزلي صاحب شرح النهج ومن في طبقته .

ولكن هلم فلتعرف فن الرثاء حينما اذكرك بشعراء القرون الاخيرة كالشيخ علي الشفهيني ، والشيخ جعفر الخطي ، والسيد علي خان الشيرازي صاحب السلافة ، والسيد ماجد بن السيد هاشم البحراني ، والشيخ حسن الدمستاني ، والسيد محمد الشاخوري ، والشيخ يوسف ابو ذيب ، والشيخ عبد النبي الخطي ، والسيد حسين بن السيد علي الشاخوري ، والشيخ محمد بن الشيخ يوسف البلادي ، والشيخ علي بن حبيب الخطي والشيخ شهاب الدين الحويزي ، والشيخ سلمان الماحوزي صاحب كتاب [بلغة الرجال] ، والشيخ داود الجد حفصي والسيد محسن البغدادي الاعرجي صاحب كتاب [المحصول] والسيد سليمان الحلي ، والسيد احمد ووالده السيد رؤوف الجد حفصي ، والشيخ لطف الله الجد حفصي ، والشيخ سلمان الكبير ، والحاج جواد بن كتا الحائري ، والشيخ محسن ابو الحب والشيخ احمد قفطان ، والشيخ حسن قفطان ، والسيد مهدي ابن السيد داود الحلي ، والشيخ عبد الحسين والشيخ عباس الاعسمين ، والشيخ محسن آل الشيخ خضر ، والشيخ محمد نصار ، والسيد محمد القطيفي ، والشيخ علي الخليعي والسيد عبد المطلب الحلي ، والشيخ احمد بن الدين ، والسيد مهدي القزويني ، واولاده السيد جعفر والسيد صالح والسيد محمد والشيخ حسن إمصبح الحلي لذي أبدع في فن الرثاء أبدا عالم يسبقه اليه أحد من عصبة الرثاء ولعله لا يأتي أحد من بعده فقد رثى الحسين بديوان ضخم وبضعفه « روضة » تشتمل على ٢٩ قصيدة على عدد حروف المعجم يبتدأ بالحرف الذي ينتهي به بمتانة وانسجام بالاضافة الى ماقيد نفسه به ، وهي على نسق ماصنعه الشاعر المبدع صفي الدين في الروضة التي خصها لمدح الملك المنصور

ولعلك ايها القارئ استغربت مني عدم ذكري لمشاهير عصبة الرثاء من الفراتيين المتأخرين الذي غنى بشعرهم احمد شوقي واخدانه من المصريين ، كالشاعر الفحل السيد حيدر الحلي ، والحاج هاشم الكعبي ، والشيخ صالح الكواز والسيد جعفر الحلي ، ومن جاراهم في الحلبة كالسيد ابراهيم الطباطبائي ، والشيخ محمد رضا الخزاعي والشيخ سالم الطريحي وهو الذي يقول .

عانقوا المرهفات حتى تهاووا ... صرعا في الثرى بحر الصيوف
وبقى ابن النبي لم ير عوناً ... في الوغى غير ذابل ورهيف
فانثنى للنزال يكتال آجا ... لا فوق بالسيف كل طغيف
كم جيوش يلفها بجيوش ... وزحوف يلفها بزحوف
كلما هم ان يصول عليهم ... همت الارض خيفة برجيف
لم يزل يورد المواضي نجيعاً ... من رقاب العدى بقلب لهوف
فدعاه داعي القضاء فألوى ... عن هوان لدار عز وريف

لا أنكر استغرابك حينما تجدني قد تأخرت عن ذكرهم فلعمري لهم بيت القصيد وروح البحث ونقطة الدائرة ، وقل ابطال الخلود ، فلقد ضربوا رقماً قياسياً لم يحز باقي الشعراء عن الحصول عليه .

ولا تصح الدعوى ما لم تشفع ببينة ، فهاك اولا مايقوله السيد مهدي عم السيد حيدر الحلي :

تحملوا محفة لو بعضها حمل ال
-مع الطباق هوت ضعفاً على الترب
بساعة لو تكون الساعة اقتربت
منها تكأكأ تا في شدة الكرب
حيث الكريهة ترمي للسما شرراً
كالقصر فيرانها من شدة اللهب
وحين قامت على ساق جثت غضباً
لها بغو مضر الحمرا على الركب
من تحتهم لو تزول الارض لانقصبوا
على الهوى هضباً أرسى من الهضب
أبطال حرب اذا عضوا نواجذهم
لا مفجد لاعاديهم شوى الهرب

افهل سبق ايها القاري ان قرأت شعراً بهذا الاسلوب من الفن الذي مزج فيه الرثاء بالفخر والحماسة ، ولعلك لم تعرفه بان ابن اخيه هو السيد حيدر الحلي الذي ولد ١٢٤٦ هـ - وتوفي ١٣٠٤ هـ قد سبق ابطال حلبة ادب الرثاء بشعره الذي سجله بمذاب القلب لقوله :

عجباً للعيون لم تغد بيضاً ... لمصاب تحمر فيه الدموع
وأسىً شابت الليالي عليه ... وهو للحشر في القلوب وضيع
أينما طارت النفوس شعاعا ... فلطير الردى عليه وقوع
فأبى ان يعيش الا عزيزاً ... أو تجلى الكفاح وهو صريع
فتلقى الجموع فرداً ولكن ... كل عضو في الروع منه جموع
زوج السيف بالنفوس ولكن
مهرها الموت والخضاب النجيع

أحسب ان هذه الابيات لاتحتاج بمعناها الرفيع الى ايضاح لما حوته من نكت البديع بحسن انسجام ورصانة تركيب بقوله : - (زوج السيف) ولابدع اذا كان مفتوناً المرحوم امير الشعراء احمد شوقي بشعر هذا الفحل حينما اجتمع به احد طلاب البعثة العراقية في طريقه الى السوربون فقال له إقرأ لي شعراً فراتياً فقرأ له من شعر بعض الشعراء المعاصرين فقال له إقرأ :

عثر الدهر ويرجو ان يقالا ... تربت كفك من راج محالا
وقفوا والموت في قارعة ... لو بها ارسي ثهلان لزالا
فأبوا الا اتصالا بالظبا ... وعن الضيم من الروح انفصالا
أرخصوها للعوالي مهجاً ... قد شراها منهم الله تعالى
انها الراغب في تغلية ... بامون قط لم تشكو الملالا
اقتعدها وأقم من صدرها ... حيث وفد البيت يلقون الرحالا
واحتقبها من لساني نفثة ... ضرما حولها الغيض مقالا
واذا أندية الحي بدت ... تشعر الهيبة حشداً واحتفالا
قف على البطحاء واهتف ببني
شيبة الحمد وقل قوموا عجالا
كم رضاع الضيم لاشب لكم ... ناشيء او تجعلوا الموت فصالا
قوموها أسلا خطية ... كقدود الغيد ليناً واعتدالا
واخطبوا طعناً بها عن السن ... طالما أنشأت الموت ارتجالا

وانتضوها قضباً هندية بسوى الهامات لا ترضى السقالا

حق لشوقي ان يعجب ويعجب لانه لا يعرف العظيم الا العظيم كيف لا وقد جلاها فن البديع بانواعه من مقابلة الى جناس الى توريه كما تجد ان فن (البيان) قد حف بها لاقتران اللفظ بالمعنى ولا تنسى انه هو الذي يقول :

يلقى الكتيبة مفرداً فتفر دامية الجراح
وبهامها اعتصمت بخافة بأسه بيض الصفاح
وتسترت منه حياءاً في الحشا سمر الرماح (١)

أفهل سبق ان سمعت من المتقدمين والمتأخرين قائلا : وتسترت منه حياءاً في الحشا سمر الرماح وهل تعتقد بان هذا شعر ينتزعه الانسان من مخيلته ساعة ان يشاء كلا !!! بل كما قال الاستاذ الكبير الجواهري

انه ذوب قلوب صيغ من لفظ مذاب

ولعلك ترغب ان اثبت لك من هذه القطع القلبية وان تكون للسيد حيدر فخذ قوله في وصف الحسين وفتيته البواسل واصحابه الاشاوس باسلوب تداخلت فيه جميع انواع الشعر وازدحمت عليه غير ان ظاهره الرثاء قوله .

غداة ابو السجاد جاء يقودها أجادل للهيجاء يحملن أنسرا
عليها من الفتيان كل ابن نجدة يعد قتير الدرع وشياً محبراً
أشم اذا ما افتض للحرب عذرة
تنشق من اعطافها النقع عنبرا
من الطاعني صدر الكتيبة في الوغى
اذا الصف منها من حديد توقرا
هم القوم إما اجروا الخيل لم تطأ
سنابكها إلا دلاصاً ومغفرا
اذا ازدحموا احشد أعلى نقع فيلق رأيت على الليل النهار تكورا
كماة تعد الحي منها اذا انبرت
عن الطعن من كان الصريع المقطرا
ومن يخترم حيث الرماح تضافرت
فذلك تدعوه الكريم المظفرا
فما عبروا إلا على ظهر سابح الى الموت لما ماجت البيض بحرا
مضوا بالوجوه الزهر بيضا كريمة
عليها لثام النقع لاثوه اكدرا
فان يمس مغبر الجبين فطالما
ضحى الحرب في وجه الكتيبة غبرا
وان يقض ضمآناً تفطر قلبه
فقد راع قلب الموت حتى تفطرا

تجلى لك ماذا ادخله الشاعر على فن الرثاء من اسلوب بديع وفن مبتكر فبينما تجده في صدر البيت يرثي فيقول: فان يمس مغبر الجبين . تراه قد انتقل الى الفخر والحماس بقوله : فطالما ضحى الحرب ، وهو لا يزال في البيت نفسه وهكذا الذي قبله والذي بعده ، ولو تأملت في بيت من هذه القصيدة الطويلة يعني به عقيلة آل البيت زينب الكبرى ابنة علي لاستشعرت ما غمر ادب الرثاء من الفن العجيب والاسلوب الساحر بقوله :—

مشى الدهر يوم الطف اعمى فلم يدع
عماداً لها الا وفيه تعثرا

أهل سبق ان شاعراً خاطب مثكلة بفقد عزيزها بمثل هذه اللغة العجيبة .

ولا أحسب ايها القارىء لو حدثتك عن هذا الشاعر وعرضت عليك صوراً من شعره اياماً وليالي ان يعتريك سأم او يخامرك ملل كيف وهو ينحت من قلبه ويقدمه لك كقوله : —

وخائضين غمار الموت طافحة
امواجها البيض بالهامات تلتطم
مشوا الى الحرب مشي الضاريات لها
فصافحوا الموت فيها والقنا اجم
فالحرب تعلم ان ماتوا بها فلقد
ماتت بها منهم الاسياف لا الهمم
قومي الاولى عقدت قدما مآزرهم
على الحمية ما ضيموا ولا اهتضموا
عهدي بهم قصر الاعمار شأنهم
لا يهرمون وللهيابة الهرم

ولا شك ان اصدق صورة لنفسية الشاعر شعره الذي

(١) والبيتان الاخيران لم يدونا في القصيدة الموجودة في ديوان الشاعر ص ١١٤ المطبوع في بمبي على الحجر .

تصعده نفثات صدره وفي شعره هذا اعرب عما كمن في قلبه من نار تركها هذا الفادح مما دعى ان يستنجد بقومه الذين قصرت اعمارهم لعدم قرارهم على الذل وما احلاه حينما يستغرق في وصفهم بقوله :—

متنافسين على المنية بينهم فكأنما هي غادة معطار
سمة العبيد من الخشوع عليهم لله ان ضمتهم الاسحار
واذا ترجلت الضحى شهدت لهم بيض القواضب انهم احرار

فهل تأملت هذه المقابلة البديعية : عبيد واحرار وضحى واسحار ، وعبثاً احاول ان احيط بالجيد من شعر هذا الفحل الخالد فلعمري ما فيه من غث . وانظر ما يقوله الشيخ محمد رضا الخزاعي :—

سلوا الضبا بيضاً وقد راودوا فيها المنايا السود لا الخردا

ولو حاول اديب شرح هذا البيت لاستطاع ان يقوم بتأليف رسالة في الأدب — ولكن نظرة سريعة تعطيك ما فيه من حلاوة وما تضمنه من ابداع ومقابلة بيض لسود ، وتراه ادخل في هذا البيت اسلوب الغزل بقوله : راودوا فيها المنايا . وغير خفي ان المراودة هي المحاولة من قبل الرجل والتمنع والتهرب من جانب الامرأة ، وقد جعل الشاعر آل هاشم يوم الطف انزلوا المنايا منزلة الغادة الحسناء فراودوها فكانت تهرب من بين ايديهم وتخشاهم وهم يتبعونها ، فهل مر على خاطرك ايها القاري من شعر العرب شيء من هذا الاسلوب كلا !!! بل هذا ما اوجدته واقعة الطف في الادب فخلقت شعراء شذ ان يحصل على مثلهم عند سائر الامم .

وقد سبق هذا الشاعر الموهوب الشيخ محمد رضا الازري فقد قام بجولة في ميدان « ادب الرثاء » اطلعنا فيها على فن عظيم فتراه يصف تهافت شباب الهاشميين على الحرب ويقول :—

حي من الشوس معتاد وليدهم على رضاع دم الابطال لا اللبن

لعمر أبيه كيف اصطاد هذا المعنى ومن اوحى له بان يفرغه بمثل هذا القالب الرصين ، وترى الازري الآخر

وهو الشيخ كاظم يقول وهو العظيم :—

ما أبرقت في الوغى يوما سيوفهم الا وفاض سحاب الهام بالمطر
هم الاسود ولكن الوغى اجم ولا مخالب غير البيض والسمر
قد غير الطعن منهم كل جارحة الا المكارم في امن من الغير
قد كنت في مشرق الدنيا ومغربها كالحمد لم تغن عنها سائر السور

ولقد تنوع في هذا المعنى شعراء فافرغوه في قوالب جملة اخرى منهم السيد مهدي بن السيد داود الحلي قال :

سطت وانا بيب الرماح كأنها اجام وهم تحت الرماح اسود
ترى لهم عند القراع تياسراً كأن لهم يوم الكريهة عيد

وجاء المرحوم السيد رضا الهندي فقال واجاد :—

اسد قد اتخذوا الصوارم حلية وتسربلوا حلق الدروع ثيابا
تخذت عيونهم القساطل كحلها واكفهم فيض النحور خضابا
يتمايلون كأنما غنى لهم وقع الضبا وسقاهم اكوابا
برقت سيوفهم فامطرت الطلى بدمائها والنقع ثار سحابا
وكأنهم مستقبلون كواعباً مستقبلين اسنة وكعابا

واظن انه لم يفتك ما في قوله من استعارة فنية وسبك جميل « برقت سيوفهم فامطرت الطلى » واذا ما حاولنا ان نثبت لك صورة من ادب الرثاء في وصف عقائل النبوة وما اصابها من شدة العطش وفقدان الكفيل فانما نثبت شظايا قلوب صورتها لنا تلك المأساة التي لم يمر على بشر مثلها في التأريخ كمنع الماء على رضيع وقتله وعلى امرأة وسبيها ، واليك ما يقوله الشيخ عبد الحسين شكر في ذلك من قصيدة طويلة :—

اذيبت برمضاء الهجير قلوبها فاسبلن من آماقهن مذابها
واریاقها تشكو النضوب من الظما فتوردها شمس الهجير لعابها

كيف صور هذا الشاعر شدة عطش النساء وقسوة بني امية تجاهها بمنع الماء عنها وهم بالقرب منه حتى اوجب ان تعطف الشمس على هذه الحرائر فتسقيهن من لعابها لتخفف

بنهن مضاضة العطش ، وهاك ما يقوله امير فن الرثاء السيد حيدر :—

كجمر الغضا اكبادهن من الظما بتفر لعاب الشمس فيه شرابها

وله من قصيدة اخرى يصف ثكلهن فيقول :—

تساقط الادمع اجفانهـا كالجمر عن ذوب حشى الهبا
فدمعها لولم يكن محرقا عاد به وجـه الثرى معشبا

ثم يصف شجاعة الحسين واصحابه فيها فيقول :—

دكوا رباها ثم قالوا لها وقد جثوا نحن مكان الربا

فلو سئلت ايها القارىء ان هذا البيت من اي فن ماذا تجيب أمن فن المديح ام الفخر ام الحماسة ام الرثاء . لا أحسب الا ان تقول . انه من نوع الفخر ولكن بعـد التأمل يعتريك خلاف ذلك وهكذا حتى تصبح بين عوامل تتنازع في مخيلتك فلا توصلك الى هـدف ، وباعث ذلك نتيجة التوغل والابداع في فن الرثاء ، واليك ما قاله المرحوم العلامة السيد محمد حسين الكيشوان من قصيدة طويلة :—

وم به الابطال تعثر بالقنا والموت منتصب بست جهاتها
رقت به بيض السيوف فامطرت بدم الكماة يفيض من هاماتها
كأن فيـه العاديات جاذر تختال من مرح على تلعاتها
حتى اذا نفذ القضاء واقبلت زمر العدى تستن في عدواتها
شرت ذوائب عزها وتخايلت تطوي على حر الظما مهجاتها
وتفيئت ظلل القنـا فكأنما
شجر الأراك تفيئت عـذباتهـا
وتعانقت هي والسيوف وبعد ذا
ملكت عناق الحور في جناتها

افهل تصورت هـذه القطعة وكيف صاغها ناظمها باسلوب مزج الغزل بالرثاء او قل مزج الفنون كلها وما احيلا قوله فكأن فيه العاديات جاذر .

والحق الذي دعى لان تصبح الشيعة اعلى مظهر للادب العربي واقوى اتصالا من غيرها به واكثر ابداعا وانتاجا له حتى سار المثل « وهل رأيت اديباً غير شيعي » هو ما بثته فيهم وقعة الطف ولما اعتقدوه من هظم حقهم وضياعه بيد الاعداء فثارت منهم العواطف وهاجت فيهم النفوس وجرح الاسى افئدتهم بجراح لا يصلحه ضماد وغمرتهم لواعج الاشجان فابرزت مكنونات تلك المواهب فاعربوا عنها بلسان الموتور ، ولا انسى ما نقل لي بعض شيوخنا المثقف حينما كان طالباً في « دار المعلمين العالية » ببغداد في العهد الذي ولي تدريس الادب العربي بها الزميل الاستاذ احمد حسين الزيات صاحب مجلة « الرسالة » فقال : ان الشيعة امتازت عن سائر الامم بالادب التمثيلي لتأثير واقعة الطف في قلوبهم وحرصهم على تصويرها » ولقد اصاب الهدف بقوله : ولكنها لم تمتز بالادب التمثيلي وحده وانما امتازت بجميع انواع الادب ، والآثار شاهدة على ذلك — ومثلي من يعرف — وليعلم وغيره بذلك عن ان الادب شيعي وسيبقى حتى تسدل كف الدهر على البشرية استار الفناء ، ولعله عثر على قطعة للحاج هاشم الكعبي تحسب على الادب التمثيلي فاصدر حكمه وهي :—

واقبلن ربات الحجال وللاسى تفاصيل لا يحصى لهن مفصل
فواحـدة تحنو عليه تضمه واخرى عليه بالرداء تضلل
واخرى بفيض النحر تصبغ شعرها
واخرى تفـديه واخرى تقبل
واخرى على خوف تلوذ بجنبه واخرى لما قد نالها ليس تعقل
واخرى دهاها فادح الخطب بغتة فاذهلها والخطب يدهي ويذهل
وجاءت لشمر زينب ابنة فاطم تعنفه عن امره وتعـذل
تدافعه بالكف طوراً وتارة اليه بطاها جـدها تتوسل
ايا شمر هذا حجة الله في الورى أعد نظراً يا شمر ان كنت تعقل

واني اتمنى بان يتسع لي المقام لتزويد هذا الاستاذ الكبير وغيره بالآف القصائد من هـذا النوع مستخرجا ذلك من كتابي « شعراء الحسين — او — ادب الطف » ، ولما حوته هذه القطعه من دقيق الوصف فقد تجد وبالسامع لها انه امام مشهد فضيع مريع .

ونظراً الى توسعنا في البحث وخروجنـا عن نطاق التحديد الصحفي نبشر القراء بانا سنقدم لهم دراسة شاملة تحت عنوان (ادب الرثاء عند الفراتيين) ننشرها عند اول فرصة تسنح بذلك ونكون قد ازدناهم تنويراً عن هذا البحث المجهد اذ اننا جئناه من طريق العجالة مستمدين ذلك من وحي الخاطر في الوقت الذي كتبناه . (البيان)